# الالتفات وأثره على المعنى دراسة تطبيقية على سورة البقرة

د/ هنيدي هنيدي عبد الجواد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد،،،

فالقرآن الكريم هو كتاب الله، الذي أنزله لهداية الناس، ودعوتهم إلىٰ التوحيد، وهو المعجزة الخالدة، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ضمن الله له البقاء، لأنه كتاب معجز، تحدىٰ الله به الجن والإنس، وأرباب الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، لكنهم وقفوا عاجزين أمام إعجاز القرآن وبلاغته، فقد قال عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨.

ولإعجاز القرآن أوجه وفنون وأسرار، منها ما يرجع إلىٰ معناه من حيث الأحكام التشريعية، وأخبار وقصص الأمم السابقة، والإخبار بالغيب، وغيرها من أسرار الإعجاز، ومنها ما يعود إلىٰ خصائص نظم القرآن الكريم، وأسلوبه، وتراكيبه، ومفرداته، وألفاظه.

ومن بلاغة القرآن الكريم التي تظهر المعنىٰ التفسيري وتوضحه وتجليه، ظاهرة الالتفات في القرآن الكريم، وهي الانتقال من أسلوب إلىٰ أسلوب آخر، ومن خطاب إلىٰ خطاب آخر، لأغراض وأسرار تفسيرية.

وقد شاعت هذه الظاهرة في سور القرآن الكريم، بصورة تلفت انتباه القارئ، وقد آثرت أن أختار سورة من سور القرآن الكريم، وأقوم بدراستها دراسة تطبيقية، علىٰ الآيات التي وقع بها الالتفات، لمعرفة أسراره وأغراضه التفسيرية، وهذه السورة هي سورة البقرة، وأسميت البحث بعنوان: " الالتفات وأثره في التفسير دراسة تطبيقية علىٰ سورة البقرة ".

أهمية الموضوع:

١ـ إبراز أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ.

٢ـ بيان وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٣ـ بلاغة النظم القرآني وأسلوبه وتراكيبه، وأثرها علىٰ المعاني.

منهجي في البحث:

١ـ جمع الآيات التي يوجد بها التفات في سورة البقرة.

٢ـ تصنيف الآيات وترتيبها حسب العقيدة والتشريعات..إلخ.

٣ـ بيان نوع الالتفات في الآية.

٤ـ إبراز أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ.

٥ـ قمت بترجمة الأعلام الواردة في البحث ترجمة موجزة.

٦ـ اعتمدت في هذا البحث علىٰ التفاسير التي عنيت بالالتفات.

٧ـ توضيح معاني بعض الكلمات الغامضة.

هذا وقد قسمت البحث إلىٰ: مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة: فقد تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، ومنهجي في البحث. وأما الفصلان، فهما:

الفصل الأول: حقيقة الالتفات، وصوره، وأغراضه.

الفصل الثاني: أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ من خلال سورة البقرة.

وقد قسمته إلىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ما كان في جانب العقيدة.

المبحث الثاني: ما كان في جانب الرسول صلىٰ الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: ما كان في جانب التشريعات.

وأما الخاتمة: فقد تحدثت فيها عن أهم الاقتراحات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمراجع والمصادر، وفهرس للأعلام، وفهرس لموضوعات البحث.

## الفصل الأول: حقيقة الالتفات، وصوره، وأغراضه

**تعريف الالتفات لغة:**

**عند التأمل في أقوال علماء اللغة في معنىٰ الالتفات نجد أن مادة " لفت " تدور حول معنىٰ صَّرْف الشيء عن وجهه، وهذا هو المعنىٰ المحوري لها.**

**يقول الزَّبيدي(١): " لفت: لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتًا، لَوَاهُ علَىٰ غيرِ جِهَتِه.**

**اللَّفْتُ: لَيُّ الشَّيْءِ عن جِهَتِه، كما تَقْبِضُ علىٰ عُنُقِ إنسان فَتَلْفِتَه.**

**ويُقالُ: اللَّفْتُ: الصَّرْفُ، يقال: لَفَتَهُ عن الشَّيْءِ يَلْفِتُه لَفْتًا: صَرَفَهُ.**

**قال الفرّاءُ(٢) في قوله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴿٧٨﴾ ﴾ يونس: ٧٨: اللَّفْتُ: الصَّرْفُ، يقال: ما لَفَتَكَ عن فُلان؟ أَي ما صَرَفَك عَنْه؟**

**وقِيل: اللَّيُّ، أَنْ تَرْمِيَ به إِلىٰ جانِبِكَ.**

**ومن المَجازِ: لَفَتَهُ عن رَأْيِهِ: صَرَفَه، ومنه الالْتِفَاتُ، والتَّلَفُّتُ، لاكنّ الثانيَ أَكثرُ من الأَوّل "(٣) .**

**ويقول ابن فارس(١): " لفت: اللام والفاء والتاء كلمةٌ واحدة تدلُّ علىٰ اللَّيِّ وصرف الشيء عن جهتهِ المستقيمةِ، منه لَفَتُّ الشَّيءَ: لوَيْتُه، ولفَتُّ فلانًا عن رأيه: صرفْتُه...ومنه الالتفات، وهو أن تَعدِل بوجهك، وكذا التلفّت "(٢).**

---

(١) الزَّبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م): هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علَّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب.. ومنشأه في زبيد، باليمن..وتوفى بالطاعون في مصر، من كتبه: تاج العروس في شرح القاموس. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، المتوفى: ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ٧٠/٧.

(٢) الفراء: (١٤٤ – ٢٠٧ هـ = ٧٦١ – ٨٢٢ م): هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبوزكرياء، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب..ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد..وتوفي في طريق مكة.. من كتبه: المعاني ويسمى معاني القرآن. المرجع السابق، ١٤٦/٨.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،
أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية، ٧٨/٥، مادة: " لفت ".

(١) ابن فارس(٣٢٩ – ٣٩٥ هـ = ٩٤١ – ١٠٠٤ م): أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب.. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبي في علم العربية، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، وغيرها من المصنفات الكثيرة. الأعلام للزركلي، ١٩٣/١.

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، ت: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ط: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م، مادة: "لفت"، ٢٥٨/٥.

- **تعريف الالتفات اصطلاحا:**

**قد اشتهر في تحديد الالتفات مذهبان:**

**مذهب الجمهور، ومذهب السكاكي.**

**أما الجمهور فيقولون في تحديده: إنه التعبير عن معنىٰ بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، والطرق الثلاثة هي: التكلم والخطاب، والغيبة.**

**وواضح من قولهم: بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، أنه لا يكون في أول الكلام سواء وافق مقتضىٰ الظاهر أو خالفه، فقول القائل، وهو يعني نفسه: ويحك ما فعلت وما صنعت ليس التفاتا عند الجمهور، وإن كان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: ويحي ما فعلت وما صنعت، ومثل هذا كثير في الشعر وخاصة في مطالع القصائد.**

**وهذا يعد التفاتًا عند السكاكي؛ لأنه يعني به أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره، أو كان مقتضىٰ الظاهر أن يعبر عنه بغيره، وهذا القسم الأخير هو ما خالف فيه الجمهور، ويشمل ما ذكرناه من قول القائل: ويحك ما فعلت؛ لأنه عبر عن المتكلم بطريق المخاطب، وكان مقتضىٰ الظاهر أن يعبر عنه بطريق التكلم.**

**ولهذا قالوا: إن كل التفات عند الجمهور التفات عند السكاكي من غير عكس، وهذا واضح إن شاء الله "(١).**

- **صور الالتفات:**

**والالتفات عند الجمهور يتضمن ست صور:**

**الأولى: الانتقال من التكلم إلى الخطاب**

---

(١) انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. وخصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١/ ٢١٦. والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ٧٣٩ هـ، دراسة وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣، ص٨٤، والبرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣/ ٣١٤. والإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى: ٩١١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٣/ ٢٨٩، والالتفات في البلاغة العربية للقحطان، ٣/١.

ومنه قوله تعالىٰ في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه ..قال: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يس: ٢٠ - ٢٢.

قال: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾، فجاء بكلامه علىٰ طريقة التكلم، ثم قال: ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، وكان السياق أن يقول: وإليه أرجع ولكنه جاء علىٰ طريقة الالتفات، وفيه شدة تحذير لهم، وتنبيه إلىٰ أنهم صائرون إلىٰ الله وراجعون إليه، ولا يتأتىٰ هذا لو قال: وإليه أرجع، الالتفات فيه مواجهتهم بصيرورتهم إلىٰ من يكفرون به، وكأنه يقول لهم: كيف لا تتقون من يئول أمركم إليه وتسألون بين يديه؟.

**الثانية: من التكلم إلى الغيبة**

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ الكوثر: ١ - ٢، قال: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ﴾، فجاء بالكلام علىٰ طريقة التكلم، ثم انتقل إلىٰ الغيبة في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، ومقتضىٰ الظاهر أن يقول: فصل لنا، وفيه إشارة إلىٰ حثه إلىٰ الصلاة؛ لأنها لربه الذي رعاه ورباه، فكأنه يقوي داعي الصلاة بذكر ربه.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ الدخان: ١ - ٦، فقد جرىٰ الأسلوب كما ترىٰ علىٰ طريقة التكلم: **( إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ... إِنَّا كُنَّا... مِّنۡ عِندِنَآ ...)**

ثم انتقل إلىٰ طريق الغيبة: رَحۡمَةٗ ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾، وكان مقتضىٰ ظاهر السياق أن يقول: رحمة منا، ولكن هذا الانتقال هيأ خطاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهو المنزل عليه الكتاب، ولو قال: رحمة منا، لما كان هناك سبيل إلىٰ ذكره -صلىٰ الله عليه وسلم، ثم إنه لما قال: رحمة، ناسبها ذكر الرب؛ لأنه يشير إلىٰ معنىٰ التربية والرفق والعناية...

ولو قال "منا" لأفاد العظمة والعلو والرحمة، والمقام مقام إنعام وعطاء فناسب لفظ " الرب ".

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨.

جرىٰ الأسلوب كما ترىٰ علىٰ طريقة التكلم: ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾، ثم انتقل إلىٰ طريقة الغيبة: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، وكان مقتضىٰ ظاهر الأسلوب أن يقول: فآمنوا بالله وبي، والالتفات إلىٰ الاسم الظاهر هيأ إلىٰ الأوصاف المذكورة بعده: ﴿ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ الأعراف: ١٥٨، وهي أوصاف مهمة في السياق؛ لأنها تحث علىٰ الإيمان به، وكأن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم يدعوهم إلىٰ تصديقه، لا لذاته ولكن لهذه الأوصاف، أي كونه رسولا أميا، وهذه الأوصاف تتضمن نوعا من البرهان علىٰ رسالته؛ لأن ما يخبرهم به من وحي السماء، وليس من معارفه المحصلة بالقراءة .

**الثالثة: من الخطاب إلى التكلم**

لم يقع في القرآن كما ذكر السيوطي(١)، والسبب في ذلك هو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم، ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد متكلما ومخاطبا، أو مرسلا ومستقبلا في آن واحد، والالتفات لا يتحقق إلا إذا كان الضمير في الملتفت إليه عائدا في نفس الأمر إلىٰ الملتفت عنه(٢).

ومن البلاغيين من قال إنه وقع في القرآن واستدل علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴿٧٣﴾ ﴾ طه: ٧٢ – ٧٣، فقد التفت من الخطاب ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ إلىٰ التكلم ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾، وهذا إنما يتمشىٰ علىٰ قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به(٣).

**الصورة الرابعة: من الخطاب إلى الغيبة:**

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢.

قال: ﴿ كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾، فجاءت علىٰ طريق الخطاب ثم قال: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ فنقل الأسلوب إلىٰ الغيبة، والمخاطبون هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر، والموج يفسدون في الأرض بغير الحق، وكأن نقل الحديث إلىٰ الغيبة فيه معنىٰ التشهير بهم، وكأنه يروي قصتهم لغيرهم؛ لأن هذه الطبائع العجيبة جديرة بأن تذاع وتروىٰ، ثم فيه لطيفة أخرىٰ هي أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣/٢٩٠.

(٢) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م . ١٤١٨هـ، ص١١٦.

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن، ٣/٢٩٠. والبرهان للزركشي، ٣/٣١٧. بتصرف.

الفلك: ﴿ كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾، فهم في مقام الشهود والوجود، ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيدا عن مقام الخطاب، فلاءم هذه الحال طريق الغيبة.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٢ – ٩٣.

جرىٰ الكلام علىٰ طريقة الخطاب في قوله: "أُمَّتُكُمْ... رَبُّكُمْ... فَٱعْبُدُونِ ..."، ثم انتقل إلىٰ أسلوب الغيبة في قوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾، والأمة المذكورة هي أمة المسلمين.

قال الزمخشري في سر هذا الالتفات: " كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلىٰ آخرين، ويقبح عندها فعلهم وقوله لهم: إلا ترون إلىٰ عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله "(١)، ومعنىٰ تقطيع الأمر صيرورة الأمة أحزابا، وفرقا بمخالفتها لمنهج القرآن الذي يؤلف بينها ويجمع وحدتها.

وفي هذا الالتفات إشارة أخرىٰ هي أن الله سبحانه ينصرف عن هذه الأمة حين يتقطع أمرها بينها، وفيه أيضًا أنها تغيب عن مشهد الحياة حين تنحرف عن منهج القرآن، وانظر إلىٰ الصورة الحية الكامنة في قوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾، وكيف يصير أمر الأمة وقوتها، وكيانها قطعا حين الاختلاف، ويخربون بأيديهم أمرها، وشأنها ويهدمون قوتها وريحها.

**الصورة الخامسة: الانتقال من الغيبة إلى التكلم**

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴿٩﴾ ﴾ فاطر: ٩، قال: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾، فجرىٰ علىٰ طريق الغيبة، ثم قال: ﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾، وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: فساقه، ولكنه انتقل إلىٰ التكلم ليحدث إيقاظًا عند هذا المقطع المهم من مقاطع المعنىٰ لأن سوق السحاب إلىٰ الأرض الميتة، فتحيا ضرب من قسمة الأرزاق، فناسب أن ينقل الإسناد إلىٰ ضمير ذي الجلالة سبحانه، ولهذا أيضا لم يسند إلىٰ الرياح علىٰ طريق المجاز كما في الجملة السابقة ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾؛ لأن إثارة السحاب ليس في خطورة سوقها، واتجاهها نحو ما يشاء الله من عباده؛ الالتفات مهنا يشير إلىٰ أن الله سبحانه يسوق السحاب بذاته العلية، ويقسمه رحمة ورزقا بيديه، ولا يدع ذلك لأحد من خلقه.

---

(١) الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، لجار الله الزمخشري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي، ٣/ ١٣٤.

وقد جاء ذلك مفصلا في سورة الأعراف آية ٥٧: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٥٧ ﴾ الأعراف: ٥٧ .

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ١٢ ﴾ فصلت: ١١ – ١٢.

جاء الكلام علىٰ طريق الغيبة في قصة خلق السموات والأرض، وهي أخبار تروي من الغيب البعيد بيننا وبينها ملايين السنين هي عمر هذه الأرض، ثم انتقل إلىٰ طريق التكلم في قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا ﴾، وكان الالتفات هنا ذا مغزىٰ مهم؛ لأن السماء الدنيا وما فيها من كواكب من أظهر وأوضح الآيات التي تشير إلىٰ القدرة الخالقة التي يحث القرآن علىٰ النظر إليها كثيرًا، الالتفات إذن كأنه لفت إلىٰ الموضع الذي تؤخذ منه العبرة، وتدنو به الحقيقة الدالة من القلوب المعتبرة...

**الصورة السادسة: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب**

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ الفاتحة: ٢ – ٥، جرىٰ الأسلوب علىٰ طريقة الغيبة كما ترىٰ، ثم انتقل إلىٰ الخطاب في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.

وقالوا في سر ذلك: إن المعاني السابقة من حمد الله والثناء عليه، وذكر ربوبيته للعاملين ورحمته الغامرة، وملكه ليوم الدين تحث النفوس علىٰ الإقبال صوب الحق متجهة إليه بالخطاب معلنة وحدانيته بالعبادة والاستعانة، وهكذا يكون الالتفات هنا مشيرا إلىٰ تصاعد الإحساس بالجلال حتىٰ تخلص النفس في مراحل عروجها من شئونها الأرضية، فتشافه الحق وتعلن هناك غاية العبودية والاستسلام..."(١).

- **أغراض الالتفات:**

**للالتفات غرضان:**

**الأول: غرض عام في كل أنواعه.**

---

(١) انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢٧٢/١. والبرهان للزركشي، ٣/ ٣١٥ . ٣٢٢. والإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٢٩٠ . ٢٩٣. وخصائص التراكيب للشيخ أبوموسى، ١/ ٢٢٠ . ٢٧١. بتصرف.

وهو التفنن في الكلام وتنويع أسلوبه مما يثير انتباه المتلقي ويبعث علىٰ إمتاعه ونشاطه في استقبال الكلام وحسن الإنصات والإصغاء له، ويصون السمع عن الضجر والملل والسآمة من الاستمرار علىٰ طريقة واحدة.

فيقول الزركشي: " اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلىٰ آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية.

وقال البيانيون: إن الكلام إذا جاء علىٰ أسلوب واحد وطال، حسن تغيير الطريقة "(٢).

ويذكر الزمخشري الغرض العام للالتفات فيقول : " وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما: إن فلانا من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلىٰ الثالث، فقلت: يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي علىٰ جادة السداد في مصادرك ومواردك، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه، واستدعيت إصغاءه إلىٰ إرشادك، زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلىٰ المواجهة، هازا من طبعه مالا يجده إذا استمررت علىٰ لفظ الغيبة، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلىٰ صنف يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش(١) الأنفس للقبول "(٢).

ويقول الزركشي في موضع آخر ليبين الغرض العام للالتفات: " والالتفات نقل الكلام من أسلوب إلىٰ أسلوب آخر، تطرية واستدرارا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد علىٰ سمعه "(٣).

**والثاني**: **غرض خاص بكل موضع على حده**.

فيقول الزركشي مبينا الغرض الخاص لكل موضع فيقول: " وأما الخاصة فتختلف باختلاف محاله، ومواقع الكلام فيه علىٰ ما يقصده المتكلم "(٤).

وذكر ابن الأثير أن الأغراض الخاصة لكل موضع ليس لها ضابط محدد، بل تختلف من موضع لآخر، والذي يحدد الغرض الخاص السياق الذي ورد فيه الالتفات فيقول: " والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلىٰ الغيبةِ، أو من الغيبة إلىٰ الخطاب لا يكون إلاّ لفائدة اقتضته، وتلك لفائدة أمر

---

(٢) البرهان للزركشي، ٣/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(١) " هش " الهاء والشين: أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على رَخاوةٍ ولين، والرِّخْو اللَّيِّن هَشٌّ. والمعنى: تضعف النفوس للقبول. مقاييس اللغة، ٦/٦، مادة: " هش ".

(٢) تفسير الكشاف، ١/١٢١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٣/٣١٤. والإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٢٨٩.

(٤) ينظر البرهان، ٣/٣٢٦.

وراء الانتقال من أسلوب إلىٰ أسلوبٍ، غير أنها لا تُحدُّ بحدٍّ ولا تُضبَط بضابطٍ، لكن يشار إلىٰ مواضع منها ليقاس عليها غيرها، فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلىٰ الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطبِ، ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلىٰ الغيبةِ فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري علىٰ وتيرة واحدةٍ، وإنما هو مقصور علىٰ العناية بالمعنىٰ المقصودِ وذلك المعنىٰ يتشعب شُعبًا كثيرة لا تنحصرِ وإنما يؤتىٰ بها علىٰ حسب الموضع الذي ترد فيه"(٥).

ويقول ابن عاشور: " نرىٰ من أفانين الكلام الالتفات، وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلىٰ طريق آخر منها، وهو بمجرده معدود من الفصاحة، وسماه ابن جني شجاعة العربية، لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع، فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلىٰ ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة، وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يحصىٰ كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال "(١) .

- **شروط الالتفات:**

ذكر الزركشي شروط الالتفات فقال: " شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلىٰ المنتقل عنه، وشرطه أيضا أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين حتىٰ يمتنع بين الشرط وجوابه "(٢).

لكن الزركشي علق علىٰ الشرط الأخير فقال: " وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد، وإن لم يكن بين جزأىٰ الجملة، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢)العنكبوت: ٢٣ .وقوله:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ﴿٥٩﴾ ﴾ (٣)القصص: ٥٩ ."(٤) إلىٰ غيرها من الآيات. مما يدل علىٰ أن هذه الشروط ليست علىٰ سبيل الحصر، وليس متفقا عليها عند البلاغيين.

- **المفسرون الذين اعتنوا بالالتفات في تفاسيرهم:**

---

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٤/٢.

(١) التحرير والتنوير للطاهر لابن عاشور، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م، ١٠٧/١.

(٢) البرهان للزركشي، ٣/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) في الآية التفات من الغيبة بالتصريح بلفظ الجلالة إلى التكلم انظر التحرير والتنوير، ١٧٧/١.

(٤) في الآية التفات من الغيبة بالتصريح بلفظ الربوبية، إلى التكلم. انظر التحرير والتنوير، ٨٥/٢٠.

(٥) البرهان للزركشي، ٣/ ٣٣١، ٣٣٢.

**اعتنىٰ بعض المفسرين أثناء تفسيرهم لآيات القرآن الكريم بالالتفات، وأثره في بيان إعجاز القرآن، وإبراز المعنىٰ ووضوحه، حتىٰ كثر ترداد لفظ الالتفات في تفاسيرهم، ومن هؤلاء المفسرين:**

**١ـ جار الله الزمخشري(١)، في تفسيره المسمىٰ " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ".**
**٢ـ الرازي(٢) في تفسيره المسمىٰ: " مفاتيح الغيب ".**
**٣ـ أبو حيان الأندلسي(٣) في تفسيره المسمىٰ: " البحر المحيط ".**
**٤ـ البقاعي(٤) في تفسيره المسمىٰ: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".**
**٢ـ أبو السعود(٥) في تفسيره المسمىٰ: " إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم ".**
**٥ـ الشوكاني(١) في تفسيره المسمىٰ: " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ".**
**٣ـ الألوسي(٢) في تفسيره المسمىٰ: " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ".٦ـ ابن عاشور(٣) في تفسيره المسمىٰ: " التحرير والتنوير ".**

---

(١) الزمخشري . نسبة إلى زَمَخْشَر: قرية كبيرة من قرى خوارزم، هو العلامة محمود بن عمر بن محمد بن أحمد ، جار الله ، وُلد في رجب سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، رحل في طلب العلم ، وجاور بمكة، وكان رحمه الله آية في الذكاء والعلم، له: " الكشاف والفائق في الحديث والمفصل في النحو وربيع الأبرار وأطواق الذهب " وغيرها ، مات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. طبقات المفسرين للحافظ السيوطي، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١، ١٣٩٦هـ.

(٢) الرازي: (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ – ١٢١٠ م)، هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل، من تصانيفه (مفاتيح الغيب – ط). الأعلام للزركلي، ٣١٣/٦.

(٣) أبو حيان: هو أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغَرْناطي، وُلد سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤هـ ، كان مشهورا بالنحو والتصريف، وقد خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يُذكر أحد في أقطار الأرض في وقته فيهما غيره ، له " البحر المحيط ، غريب القرآن في مجلد ، والوهّاج مختصر المنهاج " ، تُوفي رحمه الله بمصر سنة ٧٤٥هـ. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، المتوفى: ١١هـ، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م، ١ / ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٤) البقاعي: (٨٠٩ – ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦ – ١٤٨٠ م) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط – بضم الراء وتخفيف الباء – بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، من مصنفاته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الأعلام للزركلي: ٥٦/١.

(٥) أبو السعود (٨٩٨ – ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ – ١٥٧٤ م): هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرَّس في بلاد متعددة، وكان حاضر الذهن سريع البديهة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ومن كتبه: تحفة الطلاب، إلى غيرها من المصنفات. الأعلام للزركلي، ٥٩/٧.

(١) الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ – ١٨٣٤ م): هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، له ١١٤ مؤلفا، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وفتح القدير في التفسير، وغيرها من المؤلفات.

# الفصل الثاني: أثر الالتفات على المعنى من خلال سورة البقرة

**وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: ما كان في جانب العقيدة**

**المبحث الثاني: ما كان في جانب الرسول صلى الله عليه وسلم.**

**المبحث الثالث: ما كان في جانب التشريعات.**

## المبحث الأول: ما كان في جانب العقيدة

**وقد قسمته إلى مطالب:**

### المطلب الأول: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

**١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧.**

- **موضع الالتفات:**

في هذه الآية التفات من ضمير المخاطب في قوله: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ إلىٰ ضمير الغيبة في قوله: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

- **أثره على المعنى:**

**عند التأمل في هذه الآية نجد أنها سيقت لبيان النعم الكثيرة التي أنْعم الله بها علىٰ بني إسرائيل، أثناء مدة التيه(١)، كتظليل الغمام ليقيهم من شدة الحر، والخبز والطير، ولكنهم لم يشكروا هذه النعم، فقابلوها بالكفران والجحود.**

---

(٢) الآلوسي: (١٢١٧ – ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ – ١٨٥٤ م): هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسى، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، من كتبه روح المعاني في التفسير، ودقائق التفسير، وغيرها من المصنفات. الأعلام للزركلي، ١٧٦/٧.

(٣) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة بتونس، وعضو المجمع اللغوي بدمشق والقاهرة، كان عالمًا موسوعيًا، له " التحرير والتنوير ، ومقاصد الشريعة الإسلامية ، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام "، ١٨٧٩م – ١٩٧٣م . الأعلام للزركلي، ج٦، ص١٧٤.

(١) وهي المدة التي عاقبهم الله بها، بأن كتب عليهم التيه فى الصحراء أربعين سنة. تفسير القرطبي، ٣٩٢/١. والتفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ٢٩٣/١.

وقد يتصور بنو إسرائيل أنهم يُلحقون الضرر بربهم وبأنبيائهم ورسلهم عند كفرهم وجحودهم بنعم الله وعدم شكرهم لها، فأراد الله تعالىٰ أن يدفع هذا التصور والوهم، فبين أن كفران بني إسرائيل بالنعم التي منَّ الله بها عليهم، يعتبر ظلما لأنفسهم، وإيرادا لها مورد التهلكة، حيث عرَّضوها للعقاب، ولا يعود ضرر الجحود والكفران علىٰ غيرهم، إذ إن الله تعالىٰ غنيٌّ عن شكرهم وعبادتهم.

وقد ظهر هذا المعنىٰ واضحا جليا عن طريق الالتفات إلىٰ الغيْبة في قوله: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ليؤكد هذا المعنىٰ، وليعرف بنو إسرائيل الحقيقة الغائبة عنهم، فيتعظ الآخرون فلا يقعوا فيما وقع فيه أسلافهم.

يقول ابن عاشور مبينا أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ التفسيري: " وغيَّر الأسلوب في هذه الجملة، إذ انتقل من خطاب بني إسرائيل إلىٰ الحديث عنهم بضمير الغيبة، لقصد الاتعاظ بحالهم، وتعريضا بأنهم متمادون علىٰ غيِّهم، وليسوا مستفيقين من ضلالهم، فهم بحيث لا يقرون بأنهم ظلموا أنفسهم "(١).

**********

٢- ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ البقرة: ٨٧ – ٨٨

- **موضع الالتفات:**

في هاتين الآيتين جاء الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ ، إلىٰ الغيبة في قوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآيات من أجل الحديث عن فظائع اليهود وإجرامهم وتكبرهم وعنادهم وكفرهم بالله ورسله، وتكذيبهم وقتل بعضهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ج١، ص٤٩٥. وينظر تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ج١، ص١٠٤.

واليهود كلما كذَّبوا برسول من الرسل، أو قتلوه، فالله عز وجل يُرسل إليهم رسلا آخرين، ليستمروا في دعوتهم وهدايتهم، لعلهم يثوبوا إلىٰ رشدهم، فيؤمنوا بالله وحده، ويصدِّقوا رسله فيما يبلغون عن ربهم.

ولكن اليهود مع كل هؤلاء الرسل الذين أُرسلوا إليهم، لم تتأثر قلوبهم بدعوتهم، ولم يتذوقوا طعم الإيمان بالله ورسله، ولكنهم استمروا في غيهم وضلالهم وتكذيبهم.

ويواليتهم يخجلون علىٰ ما في قلوبهم من مرض، فيصمتون حتىٰ يعالجوها، ولكنهم من شدة عنادهم وتكذيبهم، يجاهرون فيعترفون بقسوة قلوبهم، وغِلظتها، وأنها مغلَّفة بغلاف يمنعها من الفهم والفقه والإيمان.

كما أن اليهود يقصدون من قولهم هذا الاستهزاء والاحتقار لأنبيائهم ورسلهم، وبث اليأس في نفوسهم، فيتوقفوا عن دعوتهم وهدايتهم.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أي : قال اليهود الذين كانوا في العهد النبوي: قلوبنا يا محمد مغطاة بأغطية حسيِّة مانعة من نفوذ ما جئت به فيها، ومقصدهم من ذلك، إقناطه صلىٰ الله عليه وسلم من إجابتهم لدعوته حتىٰ لا يعيد عليهم الدعوة من بعد "(١) .

فجاءت الآيات لتلفت نظر القارئ إلىٰ هذه المعاني، عن طريق الالتفات إلىٰ ضمير الغَيْبة في قوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾.

لذلك يقول أبو السعود: " ﴿ وَقَالُواْ ﴾ بيان لفن آخر من قبائحهم، علىٰ طريق الالتفات إلىٰ الغَيْبة، إشعارا بإبعادهم عن رتبة الخطاب، لما فصَّل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم، وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق "(٢).

**********

- **المطلب الثاني: الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب**

**١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١.**

- **موضع الالتفات:**

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ج١، ص١٤٣.

(٢) تفسير أبي السعود، ج١، ص١٢٧. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج١، ص٣١٨. والتحرير والتنوير، ج١، ص٥٨١.

في هذه الآية بالإضافة إلىٰ ما قبلها من الآيات، التفات من الغَيْبة إلىٰ الخطاب، فجاءت الآيات التي قبلها بضمير الغَيْبة ، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾ البقرة: ٦ – ٧، وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ البقرة: ٨، ثم انتقلت الآيات إلىٰ ضمير المخاطب في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ البقرة: ٢١.

- **أثره على المعنى:**

قسَّم الله عزَّ وجل الناس بناءً علىٰ إيمانهم بالله وكفرهم به إلىٰ ثلاثة أصناف، وهم المؤمنون كما في قوله تعالىٰ: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ البقرة: ٢ – ٣، والكافرون كما في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾ البقرة: ٦، والمنافقون كما في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ البقرة: ٨، ثم بيَّن الطريق الوحيد المستقيم، الذي ينبغي أن يتَّبعه الناس جميعا، ويجتمعوا عليه، دون تقسيم أو تفرقة، وهو طريق الإيمان بالله، وتوحيده، وعبادته، وذلك عن طريق الالتفات من الغَيْبة إلىٰ الخطاب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ البقرة: ٢١.

فجاء الالتفات ليلفت انتباه أصحاب العقائد الباطلة، من الكافرين والمنافقين، ويُوقظ ضمائرهم، ويُحرِّك مشاعرهم، ويُخاطب وجدانهم، ليتركوا ما هم عليه من أباطيل، ويُقبلوا بحُب وشغف علىٰ الإيمان برب العالمين، وتوحيده، وعبادته.

فكان الالتفات من أجل دعوة الكافرين والمنافقين إلىٰ إعمال عقولهم، وتدبرها، لتتذكر أن الله هو الذي خلقهم، وصوَّرهم فأحسن صورهم، ورزقهم، وسخَّر لهم الكون، بما فيه من منافع، وهذا أدعىٰ لإيمانهم به، وعبادته، فكيف يتسنىٰ لهم عبادة من لا يخلق شيئا، ولا ينفعهم ولا يضرهم؟!!

جاء الالتفات ليُبين الإرادة الإلهية للحالة العقدية التي ينبغي أن يكون عليها الناس جميعا، وإن تنوعت عقائدهم الباطلة، وأفكارهم، وألوانهم، وأجناسهم، وأماكنهم، وأزمانهم، وهذه الحالة

هي عبادة إله واحد، لا آلهة متعددة، وتوحيده، والإيمان به، لذلك خاطب البشرية جمعاء بتلك الحالة.

فكان الالتفات بمثابة نقطة فاصلة بين عقيدة باطلة وعقيدة صحيحة، وفكر سيئ وفكر حسن، ورؤية فاسدة ورؤية سليمة، بين عادات وتقاليد عقدية وضعية أرضية بالية، وبين وحي إلهي سماوي لإصلاح البشرية قاطبة.

فما كان من الالتفات إلا أن أضفىٰ علىٰ المعنىٰ رونقا وبهاء، وأحدث أثرا في نفس السامع والقارئ، من يقظة ضمير، وإرهاف حس، وإعمال عقل، وتنوع أسلوب.

لذلك يُبين الزمخشري ـ رحمه الله ـ أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ في هذه الآية فيقول: " لما عدَّد الله تعالىٰ فِرق المكلَّفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كلُ فرقة مما يُسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥، وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع.. وهكذا الافتنان في الحديث، والخروج فيه من صنف إلىٰ صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستهش الأنفس للقبول"(١).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٧ ــ ٢٨.

- **موضع الالتفات:**

في هاتين الآيتين التفات من الغَيْبة إلىٰ الخطاب، حيث جاء التعبير عن الكافرين بضمير الغيبة في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، ثم وجه الخطاب إليهم

---

(١) الكشاف، ١/ ١٢٠ . ١٢١. والتفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، المؤلف: محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.٢/٧٨٨.

مباشرة بضمير المخاطب في قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآية الأولىٰ لتُعدِّد صفات الكافرين، وأفعالهم، وسلوكياتهم، من نقض العهد الذي أخذه الله عليهم وهم في أصلاب آبائهم وأجدادهم، وهو الإيمان بالله وعبادته، ولكنهم قطعوا هذا الميثاق، فأفسدوا في الأرض، وكفروا به، وارتكبوا الجرائم والموبقات، فكان عاقبتهم الخسران في الدنيا والآخرة.

فجاء الالتفات إلىٰ المخاطب، ليوجِّه لهم اللوم والتوبيخ مباشرة، وبدون واسطة، فيكون أعمق تأثيرا، وأكثر تقريعا لنفوس الكافرين، وضمائرهم، ووجدانهم، فيُفكِّروا قليلا، ويثوبوا إلىٰ رشدهم، فيؤمنوا بالله وحده، بخلاف ما لو وُجِّه لهم التوبيخ بضمير الغائب، فإنه يكون أقل تأثيرا في نفوسهم.

فيقول أبو السعود: " كيف تكفرون بالله التفات إلىٰ خطاب المذكورين، مبني علىٰ إيراد ما عُدِّد من قبائحهم السابقة، لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع "(١).

ومن أثر الالتفات أنه تعالىٰ أراد أن يلفت نظر المشركين، إلىٰ جُرم ما ارتكبوه تجاه الخالق، وهو كفرهم بصاحب العظمة والقدرة المطلقة، إذ إنه تعالىٰ أحياهم من العدم، وقادر علىٰ إعادتهم بعد مماتهم، ألا يدعوهم ذلك للإيمان به؟!!، فجاء الالتفات ليُبْرز التعجب من صنيعهم، وغياب عقولهم؟!!.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " وفي الآية الكريمة التفات من الغَيْبة إلىٰ الخطاب؛ لزيادة تقريعهم والتعجب من أحوالهم الغريبة، لأن معهم ما يدعو إلىٰ الإيمان، ومع ذلك فهم منصرفون إلىٰ الكفر "(٢).

وكذلك أراد الله تعالىٰ بالالتفات أن يُحرِّك فيهم المشاعر، ويبعث فيهم اليقظة، وأن يصْدُقوا أنفسهم، فإذا كانوا يعتقدون أنهم ناجون في الآخرة، وليس هناك حساب وعقاب يوم القيامة،

---

(١) تفسير أبي السعود، ١/ ٧٧. والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ ١/ ١١٦.

(٢) الوسيط للطنطاوي، ١/٥٢.

فهم مخطئون، إذ إن المرجع والمآل إليه تعالىٰ وحده، يوم القيامة، وسيحاسبون علىٰ نقضهم للعهد والميثاق، وكفرهم به، وإفسادهم في الأرض(١).

**********

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣.

- **موضع الالتفات:**

بدأت الآية الكريمة تتحدث عن العهد الذي أخذه الله علىٰ القدامىٰ من بني إسرائيل فجاء التعبير في صدر الآية بطريق الغيْبة كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، ثم جاء الالتفات إلىٰ الخطاب في نهاية الآية كما في قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾. (الكشاف، ١/ ١٨٧).

- **أثره على المعنى:**

ابتدأت الآية بضمير الغيْبة لتُبين مضمون العهد والميثاق الذي أخذه الله علىٰ القدامىٰ من بني إسرائيل، من اعتقاد العقيدة السليمة، والتمسك بحسن الخلق، ومعاملة الناس معاملة حسنة، ثم جاء الالتفات إلىٰ المخاطب لدلالة وحكمة، وهي لفت انتباه الناس إلىٰ طبيعة بني إسرائيل وسلوكهم وأخلاقهم، فهم قوم يكذبون، وينقضون العهود والمواثيق، ولا يُوفون بها، لذلك كان موقفهم من هذا الميثاق، أن كفروا بالله وأعرضوا عن تعاليمه، إلا القليل منهم.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ جملة حالية تفيد أن الإعراض عن الطاعة، وعدم التقيد بالمواثيق التي أقرُّوا بها، عادة متأصلة فيهم، ووصف ثابت لهم، وسجيَّة معروفة منهم"(١).

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفى: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١/ ٧٩.

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ١/١٣٧.

ومن أثر الالتفات في الآية أن الله تعالىٰ أراد أن ينقل الصورة الماضية، حينما أخذ الله العهد والميثاق علىٰ بني إسرائيل، فقابلوه بالنقض والتكذيب، وكأنها صورة حية أمام أعيننا، لذلك وجه الخطاب لهم وكأنهم موجودون وقت نزول القرآن.

كما أن الالتفات إلىٰ المخاطب، يُظهر ما عليه بنو إسرائيل من تشابه في نقض العهود والمواثيق، في كل عصر وزمان ومكان، فهم متماثلون في الصفات والأخلاق والعادات، فمن كان موجودا منهم وقت نزول القرآن علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقد أشبهوا سلفهم في الكفر بالله وترك تعاليمه، لذلك كان من أثر الالتفات أن إعراض بني إسرائيل يشمل من كان منهم في الماضي والحاضر والمستقبل.

فيقول القرطبي: " قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ الْخِطَابُ لِمُعَاصِرِي مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِمْ تَوَلِّي أَسْلَافِهِمْ، إِذْ هُمْ كُلُّهُمْ بِتِلْكَ السَّبِيلِ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ مِثْلُهُمْ "(٢).

كما أن توجيه الخطاب لهم مباشرة دون واسطة فيه من التوبيخ والتقريع واللوم علىٰ ما ارتكبوه من جُرْم وكذب، مما يترك أثرا موجعا في نفوسهم أكثر من توجيهه إليهم بطريق الغيْبة.

**********

**المطلب الثالث: الالتفات من التكلم إلى الغيبة**

**١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣.**

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من التكلم كما ورد في التعبير عن الذات الإلهية بضمير المتكلم في بداية الآية: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ، إلىٰ الغيبة حيث عبر عنها بلفظ الجلالة كما في قوله: ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

- **أثره على المعنى:**

---

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة. ١٧/٢. وزهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، المتوفى: ١٣٩٤هـ، دار النشر: دار الفكر العربي،/ ٢٩٣.

جاءت الآية في سياق تحدي المشركين المكذبين بالقرآن، الذي يتسم بأعلىٰ درجات الفصاحة والبلاغة، فهل يقدر المشركون أن يأتوا بسورة واحدة تشبه سور القرآن في براعة الأسلوب وبلاغة النظم؟

ولكُم أيها المشركون أن تستعينوا بأصنامكم التي تعبدونها من دون الله، من أجل مساعدتكم في الإتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم، إن كنتم صادقين في تكذيبكم للقرآن.

وتوجيه هذه الدعوة إليهم يدل علىٰ الاستهزاء بعقولهم وتفكيرهم، حيث إن المكذبين بالقرآن تركوا عبادة من يستحق الألوهية، وكذَّبوا بما أنزله الله علىٰ رسوله من القرآن، وعبدوا واستعانوا بحجارة لا تنفع ولا تضر، لذلك جاء الالتفات إلىٰ الغيبة بإظهار لفظ الجلالة، ليناسب المقام، فكيف يتركوا ما أنزله الله علىٰ رسوله ويُكذِّبوا به، ويلجأوا إلىٰ مخلوق لا يقدر علىٰ الإتيان بشيء؟!! إن هذا لشيء عجاب!!

لذلك يقول الألوسي مبينا أثر الالتفات في إبراز المعنىٰ وتوضيحه: " والالتفات إما لإدخال الروع وتربية المهابة، أو للإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا علىٰ عبادة من له الألوهية الجامعة، عبادة من لا أحقر منه"(١).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٦٠.

- **موضع الالتفات:**

في هذه الآية التفات من التكلم كما عبر عن الذات الإلهية بضمير التكلم في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ ، إلىٰ الغيبة كما في التعبير عن الذات الإلهية بلفظ الجلالة في قوله: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

(١) روح المعاني، ج١، ص١٩٦، وتفسير أبي السعود، ج١، ص٦٥.

جاءت الآية في سياق الحديث عن تذكير بني إسرائيل بما منَّ الله به عليهم من النعم، فمن رحمة الله تعالىٰ بهم أن رزقهم ومدَّهم بالطعام والشراب، وهم في صحراء جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، وذلك بعد جُبنهم وخوفهم وعصيانهم أمر موسىٰ عليه السلام بدخول الأرض المقدسة.

وإذا كان الله عز وجل هو المنعم والمتفضل عليكم بكل هذه النعم، فكيف تقابلوا الإحسان بالإساءة، والتفضل والكرم بالجحود والنكران، وقد ظهر هذا المعنىٰ جليا وواضحا من خلال إضافة الرزق إلىٰ لفظ الجلالة، وهو ما يسمىٰ بالالتفات من التكلم إلىٰ الغيبة، وفي هذا الالتفات تحذير لبني إسرائيل أن يقعوا في الجحود والنكران مرة أخرىٰ، لمن رزقهم وأغدق عليهم نعمه، بدليل قوله في اللحاق: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

وقد أحسن الألوسي حين ذكر أثر الالتفات في إبراز المعنىٰ، من خلال بيان فوائد إضافة الرزق إلىٰ لفظ الجلالة حيث قال: " وفي ذكر الرزق مضافا، تعظيم للمنة، وإشارة إلىٰ حصول ذلك لهم من غير تعب ولا تكلف، وفي هذا التفات، إذ تقدم ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب ﴾، ولو جرىٰ علىٰ نظم واحد لقال من رزقنا "(١).

**********

**٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣.**

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من التكلم كما في التعبير عن الذات الإلهية بضمير المتكلم في لفظ: ﴿ أَخَذْنَا ﴾، إلىٰ الغيبة كما في التعبير عن الذات الإلهية بلفظ الجلالة في قوله: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.(٢)

- **أثره على المعنى:**

---

(١) روح المعاني، ج١، ص٢٧١، وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المتوفى: ٧٤١هـ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ج١، ص٤٩.واللباب في علوم الكتاب، ج٢، ص١١٢، وتفسير أبي السعود، ج١، ص١٠٦.

(٢) روح المعاني، ج١، ص٣٠٨.

سيقت الآية لبيان صفات بني إسرائيل، من نقضهم للعهود والمواثيق، وإعراضهم وتكذيبهم وجحودهم لأنبيائهم ورسلهم، ومن العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم وهم في أصلاب آبائهم، أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به أحدا، ويعبدوه حق عبادته.

فيقول القرطبي: " قوله: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ وعبادة الله إثبات توحيده، وتصديق رسله، والعمل بما أنزل في كتبه "(١).

ومن أجل التأكيد علىٰ وحدانية الله، وأنه المستحق وحده للعبادة والطاعة، دون غيره من مخلوقاته، جاء التعبير بلفظ الجلالة بدلا من ضمير المتكلم في قوله: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾، وذلك عن طريق الالتفات من التكلم إلىٰ الغيبة، فكان للالتفات أثر في إبراز المعنىٰ ووضوحه، وتأكيده علىٰ المستحق للوحدانية والعبادة، ورفع الإيهام واللبس عن عقول بني إسرائيل، حتىٰ لا يظنوا استحقاق غيره من المخلوقات.

لذلك يبين ابن عادل أثر الالتفات في إبراز المعنىٰ فيقول: " وفيه التفات من التكلّم إلىٰ الغيبة، إذ لو جرىٰ الكَلاَم علىٰ نسقه لقيل: لا تعبدون إلاَّ إيانا، لقوله: ﴿ أَخَذْنَا ﴾، وفي هذا الالتفات من الدّلالة علىٰ عظم هذا الاسم، والتفرد به ما ليس في المضمر "(٢).

**********

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠ - ١٣١.

- **موضع الالتفات:**

في الآيتين السابقتين التفات من التكلم إلىٰ الغيبة، حيث جاء التعبير عن الذات الإلهية بضمير المتكلم في قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾، ثم جاء بضمير الغيبة في قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾.

---

(١) تفسير القرطبي، ج٢، ص١٣. وفتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى: ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، ج١، ص١٦٨. وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج١، ص٢١٢.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ج٢، ص٢٢٩.

- **أثره على المعنى:**

عند التأمل في سياق الآيتين، نجد أنهما جاءتا من أجل حث الناس علىٰ اتباع ملة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهي الحنيفية السمحة، ثم بين أن من حاد عنها وتركها، وسلك طريق الشيطان، واتبع هواه، وعبد الطواغيت، فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد التهلكة.

واتباع سيدنا إبراهيم لما له من فضائل ومكارم، لذلك اصطفاه الله في الدنيا، واختاره ليبلِّغ رسالته إلىٰ الناس، ثم بين الله تعالىٰ وجه الاصطفاء لسيدنا إبراهيم من بين بقية الناس، أن سيدنا إبراهيم يتحلىٰ بالطاعة والإخلاص والانقياد والاستسلام لله، كما أن سيدنا إبراهيم يُقر بربوبية الله تعالىٰ لخلقه، وتدبيره لهم.

وقد أراد الله تعالىٰ أن يُبْرز للناس الحكمة في اصطفاء واختيار سيدنا إبراهيم ليكون محلا للنبوة والرسالة، ويلفت انتباههم إلىٰ وجه الاصطفاء، فأدىٰ هذا الغرض من خلال الالتفات في الآيتين السابقتين، فجاء الالتفات إلىٰ الغيبة فقال ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾.

لذلك يبين أبو السعود أثر الالتفات في بيان وجه الاصطفاء فيقول: " والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية، والإضافة إليه ـ عليه السلام ـ لإظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته "(١).

ويقول الشيخ وهبة الزحيلي(١): " وجواب إبراهيم ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ دليل علىٰ قوة إسلامه، وفيه إشارة إلىٰ وجوب الخضوع للّه تعالىٰ "(٢).

**********

**٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٣.**

---

(١) تفسير أبي السعود، ج١، ص١٦٣، وروح المعاني، ج١، ص٣٨٨.

(١) وهبة الزحيلي: ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق عام ١٩٣٢م، تابع تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، فحصل على الشهادة العالية عام ١٩٥٦م، ومن شيوخه في مصر: شيخ الأزهر الإمام محمود شلتوت، والإمام الدكتور عبد الرحمن تاج. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، المؤلف : أعضاء ملتقى أهل الحديث.

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٣٢٢/١.

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من التكلم إلىٰ الغيبة، حيث عبر أولا عن الذات الإلهية بضمير المتكلم في قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، ثم عبر عنها بلفظ الجلالة كما في قوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآية لتبين رفعة ومكانة الرسل عند الله تعالىٰ، فقد اصطفاهم واختارهم ليكونوا سفراء إلىٰ الناس، فيدعوهم إلىٰ الهداية، ويبلغوهم رسالة الله.

ومع التساوي فيما بينهم في الرسالة والتبليغ إلا أن الله تعالىٰ فضَّل بعضهم علىٰ بعض، بما خصَّهم بمنح وعطايا دون غيرهم.

ومن الرسل الذين كرَّمهم الله تعالىٰ سيدنا موسىٰ عليه السلام، فقد خصَّه الله تعالىٰ وشرَّفه بنعمة التكليم مشافهة دون واسطة، كما في قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤، فأراد الله تعالىٰ أن يلفت انتباه الناس إلىٰ هذه المنقبة العظيمة التي شرَّف الله بها موسىٰ عليه السلام، وتفاوتها عن سائر المناقب الأخرىٰ التي خصَّ الله بها الرسل، لذلك جاء الالتفات إلىٰ الغيبة بإظهار لفظ الجلالة﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾.

وفي إبراز لفظ الجلالة دلالة علىٰ مكانة سيدنا موسىٰ عليه السلام، حيث نال شرف تكليم الذات الإلهية، فكان للالتفات أثر في إبراز المعنىٰ ووضوحه.

وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا الغرض من الالتفات في الآية فقال: " ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ بِصِيغَةِ الِالْتِفَاتِ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَىٰ التَّعْبِيرِ بِالظَّاهِرِ لِتَفْخِيمِ شَأْنِ هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ، وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الِالْتِفَاتِ إِلْفَاتُ الْأَذْهَانِ إِلَىٰ هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ تَفْخِيمًا لَهَا وَتَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا "(١).

ويقول الألوسي: " وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة، والرمز إلىٰ ما بين التكليم والرفع، وبين ما سبق من مطلق التفضيل، وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت"(٢).

---

(١) تفسير المنار، ٤/٣.

(٢) روح المعاني، ٣/ ٢، وتفسير أبي السعود، ٢٤٦/١، واللباب في علوم الكتاب، ٣٠٣/٤، وتفسير الرازي، ١/ ٩٨٢، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٤/ ١٥.

**المطلب الرابع: الالتفات من الغيبة إلى التكلم**

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٣.

- **موضع الالتفات:**

في هذه الآيات التفات من الغيبة إلىٰ التكلم، حيث افتتحت الآية الأولىٰ بضمير الغيبة في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾، ثم عبَّر في الآية الثالثة بضمير المتكلم في قوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآيات في سياق الحديث عن دعوة الناس إلىٰ عقيدة التوحيد، وعبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، ثم ذكر الأدلة علىٰ استحقاقه للعبادة والطاعة، كقدرته علىٰ خلق الآيات الكونية السماوية والأرضية، ومع ظهور تلك الأدلة أمام أعين المشركين إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله.

ومن شدة عنادهم وتكبرهم أنهم كذَّبوا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم، وادَّعوا أنه اختلق القرآن من عند نفسه، فجاء الالتفات إلىٰ ضمير المتكلم في قوله: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ لإفحام المشركين، وذلك ببيان أن القرآن وحي من عند الله تعالىٰ، نزل به أمين الوحي جبريل علىٰ قلب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كما دل عليه ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ولم يختلقه من عند نفسه، وقد اصطفاه الله تعالىٰ، واختاره واختصه بالرسالة، والتبليغ، دون أهل مكة، كما دل عليه ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾، فعليهم أن يؤمنوا به ويصدقوه في كل ما يبلغ به، فإنه لا ينطق عن الهوىٰ، إنما هو وحي من عند الله تعالىٰ، فكان للالتفات إلىٰ نون العظمة أثر بالغ في دفع شكوك المشركين حول القرآن.

لذلك يقول البقاعي: " ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي شك محيط بكم من الكتاب الذي قلت – ومن أصدق مني قيلاً – إنه ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ۛ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢ .

وأشار هنا أيضًا إلىٰ عظمته وعظمة المنزَّل عليه بالنون التفاتا من الغيبة إلىٰ التكلم فقال: ﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾..﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أي الخالص لنا الذي لم يتعبد لغيرنا قط، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريتين وغيرهم"(١).

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: " ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ إضافة تشريف وتخصيص "(٢).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ ــ ٣٤.

- **موضع الالتفات:**

في الآيات السابقة التفات من الغيبة إلىٰ التكلم، حيث عبَّر عن الذات الإلهية بضمير الغيبة في بداية الآيات ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ ﴾ ثم عبَّر بضمير المتكلم في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ .

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآيات في سياق الحديث عن قدرة الله تعالىٰ وعظمته، وهذا يتضح في إرادة الله أن يجعل خليفة له في الأرض، وهو آدم عليه السلام، وذريته، يمتثلون لأمره وينتهون بنهيه، والذي يناسب مقام الخلق لفظ الربوبية، لذلك جاء التعبير بضمير الغيبة.

---

(١) نظم الدرر، ٦٢/١.

(٢) التفسير المنير للزحيلي، ١٠٠/١.

وبعد أن خلق الله آدم عليه السلام ليكون خليفة له في أرضه، أمر الملائكة بالسجود له تحية وتكريما، لما اختصه وفضَّله بالعلم، فما كان من الملائكة إلا أن أطاعوا الله وامتثلوا لأمره، فسجدوا لآدم، إلا إبليس اللعين، فإنه قد عصىٰ أمر الله فرفض السجود لآدم تكبرا.

ولمَّا كان المقام مقام تعظيم وإجلال وامتثال لأمر الله تعالىٰ، وعدم عصيانه، إذ إن الأمر بالسجود لآدم أمر إلهي، جاء الالتفات إلىٰ ضمير المتكلم في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾، بنون العظمة، لإظهار الهيبة والجلال، فكان للالتفات أثر في إظهار المعنىٰ ووضوحه.

وقد أحسن الألوسي ـ رحمه الله ـ حين ذكر أثر الالتفات في الآيات فقال: " وغيَّر سبحانه الأسلوب حيث قال أولا: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ وهنا ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ بضمير العظمة لأن في الأول خلق آدم واستخلافه فناسب ذكر الربوبية مضافا إلىٰ أحب خلفائه إليه، وهنا المقام مقام إيراد أمر يناسب العظمة، وأيضا في السجود تعظيم، فلمَّا أمر بفعله لغيره أشار إلىٰ كبريائه الغنية عن التعظيم "(١).

ويقول أبو السعود: " والالتفات إلىٰ التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال "(٢).

ويقول القرطبي: " وَقَالَ: ﴿ قُلْنَا ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: قُلْتُ، لِأَنَّ الْجَبَّارَ الْعَظِيمَ يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِفِعْلِ الْجَمَاعَةِ تَفْخِيمًا وَإِشَادَةً بِذِكْرِهِ "(٣).

**********

(١) روح المعاني، ١/ ٢٢٩.
(٢) تفسير أبي السعود، ٨٧/١.
(٣) تفسير القرطبي، ١/ ٢٩١.

## المبحث الثاني: ما كان في جانب الرسول صلى الله عليه وسلم

### وقد قسمته إلى مطالب:

**المطلب الأول: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة**

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣.

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من الخطاب كما في توجيه الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم مباشرة في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾، إلىٰ الغيبة كما في التعبير بلفظ الرسول في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآية لتُبين وظيفة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، إذ إنه سيكون شهيدا يوم القيامة علىٰ كل من آمن به وصدَّق برسالته واتبعه في كل ما يُوحِىٰ به في الدنيا.

ومن الأحداث العظام في تاريخ الأمة الإسلامية والتي يجب علىٰ كل من آمن برسالته صلىٰ الله عليه وسلم أن يؤمن بها ويصدقها ويتبعها، حادث تحويل القبلة، وفيه يظهر قوي الإيمان من ضعيف الإيمان، والصادق من الكاذب، ومن اتبع الرسول حق الاتباع ممن لديه شك في رسالته.

والذي يناسب هذا المقام وهذه المعاني، التعبير بلفظ الرسالة، الذي يدل علىٰ وجوب الانقياد لرسول الله في كل ما يُبلِّغه عن ربه، ومنها حادث تحويل القبلة، لذلك جاء الالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبة ليُشير إلىٰ هذه المعاني ويُبرزها، كما في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ بلفظ الرسول.

لذلك يقول أبو السعود مبينا أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ: " ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ في التوجه إلىٰ ما أمر به من الدين أو القبلة، والالتفات إلىٰ الغيبة مع إيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلة الاتباع"(١).

---

(١) تفسير أبي السعود، ج١، ص١٧٣، وروح المعاني، ج٢، ص٥.

كما أن التعبير بلفظ الرسول في هذا المقام يقطع الشك أمام المنافقين وضعاف الإيمان واليهود، ويُظهر أمامهم أن حادث تحويل القبلة ليس من صنع النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وإنما هو وحي من الله تعالىٰ، يجب اتباعه والامتثال إليه.

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة: ١٤٥ ــ ١٤٦.

- **موضع الالتفات:**

في الآية الأولىٰ توجيه الخطاب للنبي صلىٰ الله عليه وسلم مباشرة كما في قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ ﴾ ، ثم انتقلت الآية الثانية للتعبير عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بضمير الغيبة كما في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآيات للحديث عن موقف أهل الكتاب من حادث تحويل القبلة، وهو العناد والمكابرة والتكذيب والاستهزاء، مع علمهم بصدق النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يبلِّغه عن ربه، وما أخبرهم به من تحويل القبلة من بيت المقدس إلىٰ بيت الله الحرام.

فقد عرَفوا أوصافه الشريفة، وأخلاقه الحسنة، وخلاله الطيبة، من خلال كتبهم، وقبل بعثته صلىٰ الله عليه وسلم، لدرجة تبلُغ اليقين، ولا تقبل الشك، لذلك فتكذيبهم لا يعتمد علىٰ حقائق، وإنما ينُمُّ عن عناد ومكابرة، لذلك جاء الالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبه في قوله: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾، للدلالة علىٰ معرفتهم بمكارمه قبل ميلاده وبعثته، فلا حاجة لإقامة الحجج والبراهين لهم.

فيقول الألوسي مبينا أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ: " ضمير ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ للرسول، وههنا التفات إلىٰ الغيبة للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر،

بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب، منعوتا فيه بالنعوت، التي من جملتها أنه عليه السلام يصلىٰ إلىٰ القبلتين، كأنه قيل: الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه "(١).

فلئن أقام لهم الأدلة والآيات والبراهين علىٰ صدقه فيما أخبرهم به من تحويل القبلة إلىٰ بيت الله الحرام، ما تبعوا قبلته، فالأولىٰ عدم الاشتغال بهم وبتكذيبهم، وما عليك إلا البلاغ.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " ولئن جئت – يا محمد – اليهود ومن علىٰ طريقتهم في الكفر بكل برهان وحجة، بأن الحق هو ما جئتهم به، من فرض التحول من قبلة بيت المقدس في الصلاة إلىٰ قبلة المسجد الحرام، ما صدَّقوا به، لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة يزيلها الدليل، وإنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من أنك علىٰ الحق المبين"(١).

**********

**المطلب الثاني: الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب**

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣.

- **موضع الالتفات:**

في هذه الآية التفات من الغيْبة من خلال التعبير عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بلفظ الرسول في قوله: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ إلىٰ الخطاب في قوله ﴿ كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ بتاء المخاطب.

- **أثره على المعنى:**

كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يتشوق لقبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وهي بيت الله الحرام، فينظر دائما إلىٰ السماء، ويُقلِّب وجهه، عسىٰ أن يُحقق الله رغبته في تحويل القبلة من بيت المقدس إلىٰ بيت الله الحرام، ودلَّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴿١٤٤﴾ ﴾ البقرة: ١٤٤.

---

(١) روح المعاني، ج٢، ص١٢، وتفسير أبي السعود، ج١، ص١٧٦.

(١) الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٢٣١.

وبعد أن حقَّق الله رغبته وأمنيته في تحويل القبلة إلىٰ بيت الله الحرام، كما في قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ ﴿١٤٤﴾﴾ البقرة: ١٤٤، فقد يُراود النبي صلىٰ الله عليه وسلم سؤالُ مُفادُه ما الهدف من التوجه إلىٰ بيت المقدس فيما مضىٰ؟ فأراد الله تعالىٰ أن يُبين للنبي صلىٰ الله عليه وسلم الحكمة من توجهه لبيت المقدس فترة قصيرة من الزمن بعد هجرته للمدينة، فكان من المناسب توجيه الخطاب له مباشرة، لذلك جاء الالتفات إلىٰ المخاطب في: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ بتاء الخطاب، لإبراز تلك الحكمة وهي حقيقة الاتباع.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: " ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أَيْ: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ فِيمَا مَضَىٰ هِيَ الْجِهَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَىٰ الْيَوْمِ، ثُمَّ أَمَرْنَاكَ بِالتَّحَوُّلِ عَنْهَا إِلَىٰ الْكَعْبَةِ إِلَّا لِيَتَبَيَّنَ لَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ الثَّابِتَ عَلَىٰ إِيمَانِهِ مِمَّنْ لَا ثَبَاتَ لَهُ، فَتَعْلَمُوا الْمُتَّبِعَ لِلرَّسُولِ مِنَ الْمُنْقَلِبِ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، بِرُجُوعِهِ إِلَىٰ الْكُفْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، أَوْ إِلَّا لِيَكُونَ عِلْمُنَا الْغَيْبِيُّ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِمَا وَمَآلِهِمَا عِلْمَ شَهَادَةٍ بِوُقُوعِ مُتَعَلِّقِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ"(١).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ البقرة: ٢٧٢.

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من الغيبة في قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلىٰ ضمير المخاطب في قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

- **أثره على المعنى:**

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٢/٧.

سيقت الآية من أجل بيان وظيفة الأنبياء والرسل، ومن مهامهم بالنسبة للمؤمنين إرشادهم إلىٰ ما أمرهم الله به من أداء العبادات والطاعات والقربات، وكيفية أدائها بطريقة صحيحة، حتىٰ تكون مقبولة عند الله تعالىٰ.

ومن هذه القربات التي أمر الله المؤمنين بها، الإنفاق في وجوه البر والخير، ابتغاء رضوان الله، وليس رياء ولا مَنًّا ولا أذىٰ.

وما علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلا الإرشاد والبيان والتوجيه، فيحثهم علىٰ كثرة الإنفاق، بدون رياء أو مَنٍّ أو أذىٰ، إذ إن ثواب الإنفاق يعود علىٰ المؤمنين أنفسهم، والله غني عن إنفاقهم.

يقول أبو حيان: " ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ أي: فهو لأنفسكم، لا يعود نفعه ولا جدواه إلا عليكم، فلا تمنُّوا به، ولا تؤذوا الفقراء، ولا تُبالوا بمن صادقتم من مسلم أو كافر، فإن ثوابه إنما هو لكم"(١).

لذلك جاء الالتفات في قوله ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ بضمير المخاطب، ليؤكد هذا المعنىٰ، ويبرزه، ويلفت الأنظار إليه.

فيقول أبو السعود مبينا أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ: " ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ التفات من الغيبة إلىٰ خطاب الملكفين لزيادة هزهم نحو الامتثال "(٢).

**********

**المطلب الثالث: الالتفات من التكلم إلى الغيبة**

**١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦.**

- **موضع الالتفات:**

---

(١) البحر المحيط، ج٢، ص٢٤٧.

(٢) تفسير أبي السعود، ج١، ص٢٦٤. وينظر فتح البيان في مقاصد القرآن، ج٢، ص١٣٤.

في الآية التفات من التكلم حيث عبرت عن الذات الإلهية بضمير المتكلم كما في بداية الآية: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ ، إلىٰ الغيبة حيث عبرت عن الذات الإلهية بلفظ الجلالة كما في قوله: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآية للرد علىٰ المكذبين المشككين في القرآن وفي نبوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، حيث ادَّعَوا زورا وبهتانا أن محمدا أتىٰ بالقرآن من تلقاء نفسه، واتخذوا من وقوع النسخ(١) في القرآن سبيلا للطعن في القرآن، وفي نبوة محمد صلىٰ الله عليه وسلم، حيث يأمر بالشيء ثم يتراجع عنه، أو يستبدله بغيره.

فكان الرد من قبل الله عز وجل ليُفْحم هؤلاء المرجفين، ويُظهر كذبهم، فبين لهم الحقيقة التي ينبغي علىٰ هؤلاء أن يُدركوها، وهي وقوع النسخ من قبل الله تعالىٰ، وليس من قبل محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وقد ظهر هذا المعنىٰ جليا من خلال الالتفات إلىٰ الغيبة في قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾، حيث أظهر لفظ الجلالة، حتىٰ يؤكد للمشركين المكذبين أن النسخ واقع من قبل الله تعالىٰ، فهو القادر علىٰ كل شيء، يُقر ما يشاء من الأحكام، وينسخ ما يشاء، فكان في الالتفات إفحام للمشركين، وإبراز للمعنىٰ ووضوحه.

لذلك يقول أبو حيان مبينا الغرض من الالتفات في الآية: " والخروج من ضمير متكلم معظِّم نفسه، إلىٰ اسم ظاهر غائب وهو الله، إذ هو الاسم العلَم الجامع لسائر الصفات، ففي ضمنه صفة القدرة، فهو أبلغ في نسبة القدرة إليه من ضمير المتكلم المعظم، فلذلك عدل عن قوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّنا} إلىٰ قوله: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ "[1].

ويُشير الشوكاني إلىٰ الفاعل الحقيقي للنسخ والحكمة منه فيقول: " ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ يفيد أن النسخ من مقدوراته، وأن إنكاره إنكار للقدرة الإلهية، وهكذا قوله: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ البقرة: ١٠٧، أي له التصرف في

---

(١) النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متراخ عنه. مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ١٢٧/٢.

(١) البحر المحيط، ج١، ص٢٩٧، وتفسير أبي السعود، ج١، ص١٤٣، وروح المعاني، ج١، ص٣٥٤.

السموات والأرض، بالإيجاد والاختراع ونفوذ الأمر في جميع مخلوقاته، فهو أعلم بمصالح عباده، وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبَّدهم بها وشرَّعها لهم، وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة والأشخاص، وهذا صنع من لا ولي لهم غيره، ولا نصير سواه، فعليهم أن يتلقوه بالقبول والامتثال والتعظيم والإجلال"(٢).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة: ١٥٩.

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من التكلم كما جاء التعبير عن الذات الإلهية بضمير المتكلم في صدر الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾، إلىٰ الغيبة كما عبر عن الذات الإلهية بلفظ الجلالة في قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآية في سياق الحديث عن حادث تحويل القبلة، وبيان موقف اليهود منه، حيث قابلوه بالنكران والتكذيب والاستهزاء، مع ذكر صفات النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقبلته في كتبهم، وهو الحق الذي ينبغي أن يُقروا به ويذعنوا له، ويُظهروه للناس كافة، ولكنهم لسوء نيتهم، وخبثهم، وحقدهم، وحسدهم، كتموا الحق، وأخفوه، حتىٰ يشككوا المؤمنين في دينهم ونبيهم.

وقد بين الله موقفهم من نبوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وحادث تحويل القبلة، في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة: ١٤٦. ولكنه تعالىٰ لم يذكر العقاب الذي ينالهم جراء الكتمان للحق، فذكره الله تعالىٰ في هذه الآية التي معنا، وهو اللعن والطرد من رحمة الله وثوابه في الدنيا والآخرة، كما أن اللعنات تنصب عليهم من قبل المخلوقات، مما يجعل العذاب يثقل ويتضاعف عليهم أضعافا مضاعفة.

---

(٢) فتح القدير، ج١، ص١٩٨.

فيقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار نقلا عن أستاذه الشيخ محمد عبده: " قَالَ شَيْخُنَا: هَذِهِ الْآيَةُ عَوْدٌ إِلَىٰ أَصْلِ السِّيَاقِ وَهُوَ مُعَادَاةُ النَّبِيِّ وَمُعَانَدَتُهُ مِنَ الْكُفَّارِ عَامَّةً وَمِنَ الْيَهُودِ خَاصَّةً، وَالْكَلَامُ فِي الْقِبْلَةِ إِنَّمَا كَانَ فِي مَعْرِضِ جُحُودِهِمْ وَعَدَائِهِمْ أَيْضًا، وَجَاءَ فِيهِ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَاكَ وَعِيدَ هَؤُلَاءِ الْكَاتِمِينَ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْكِتْمَانِ وَرَدَ مَوْرِدَ الِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، وَتَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ إِيذَائِهِمْ، ثُمَّ عَادَ هُنَا فَذَكَرَهُ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِنْكَارِهِمْ أَخْبَارَ أَنْبِيَائِهِمْ عَنْهُ وَبِشَارَتِهِمْ بِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَعْلِهِمْ ذَلِكَ حُجَّةً سَلْبِيَّةً عَلَىٰ إِنْكَارِ نُبُوَّتِهِ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَلَمْ يُبَشِّرُوا بِأَنْ سَيُبْعَثَ نَبِيٌّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يَجِئْ بَيَانٌ فِي كُتُبِهِمْ عَنْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: إِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ، وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ جَمِيعَ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَهُمْ"(١).

ولمَّا كان المقام في الآية الكريمة مقام بيان عقوبة الكتمان للحق، ونكرانه، احتاج إلىٰ ذكر ما يدل علىٰ القوة، والعظمة، والجلال، فلا يقدر علىٰ العقاب إلا من اتصف بالعظمة والقوة، لذلك كان الالتفات إلىٰ الغيبة بذكر لفظ الجلالة في قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ الذي من صفاته المنتقم الجبار، مما جعل للالتفات أثرا بالغا في إظهار المعنىٰ ووضوحه.

فيذكر أبو حيان الحكمة من الالتفات إلىٰ الغيبة بذكر لفظ الجلالة فيقول: " وأبرز اسم الجلالة بلفظ ﴿ اللَّهُ ﴾ علىٰ سبيل الالتفات، إذ لو جرىٰ علىٰ نسق الكلام السابق، لكان ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ﴾، لكن في إظهار هذا الاسم من الفخامة ما لا يكون في الضمير"(٢).

ويقول أبو السعود: " والالتفات إلىٰ الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع للصفات، لتربية المهابة وإدخال الروعة، والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة"(٣).

**********

(١) تفسير المنار، ٢/ ٤٠، وتفسير الطبري، ٣/ ٢٤٩.

(٢) البحر المحيط، ١/ ٤٠٠.

(٣) تفسير أبي السعود، ١/ ١٨٢، وروح المعاني، ٢/٢٧.

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١ ــ ٢٥٢.

- **موضع الالتفات:**

في الآيات السابقة التفات من الغيبة إلىٰ التكلم، حيث عبَّر عن الذات الإلهية بطريق الغيبة فقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ ، ثم عبَّر عنها بضمير المتكلم في قوله: ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾.

فيقول أبو حيان: " والالتفات في: ﴿ نَتْلُوهَا ﴾، وفي: ﴿ فَضَّلْنَا ﴾، لأنه خروج إلىٰ متكلم من غائب، إذ قبله ذكر لفظ: ﴿ ٱللَّهِ ﴾، وهو لفظ غائب "(١).

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآيات من أجل إثبات نبوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وصدقه فيما يبلغه عن ربه، وذلك عن طريق ذكر قصص الأمم السابقة، كقصة طالوت وجالوت، وقتل داود جالوت، لتثبيت قلب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وتسليته، وأخذ العبرة والعظة مما وقع بالأمم السابقة.

وقصص الأمم السابقة إنما هي وحي من عند الله تعالىٰ، أوحاها إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، عن طريق أمين الوحي جبريل، ولم يختلقها النبي من تلقاء نفسه، ولا هي من إلقاء الشياطين.

فيقول الطبري(٢): " يقول الله تعالىٰ ذكره: فهذه الحجج التي أخبرتك بها يا محمد، وأعلمتك، من قدرتي علىٰ إماتة من هرب من الموت في ساعة واحدة وهم ألوف، وإحيائي إياهم بعد ذلك، وتمليكي طالوت أمر بني إسرائيل، بعد إذ كان سقَّاء أو دبَّاغا من غير أهل بيت المملكة، وسلبي ذلك إياه بمعصيته أمري، وصرفي ملكه إلىٰ داود لطاعته إياي، ونصرتي

---

(١) البحر المحيط، ٢٠٢/٢.

(٢) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري – نسبة إلى طبرستان من بلاد خراسان – وُلد الإمام سنة ٢٢٤هـ ، والطبري هو رأس المفسرين على الإطلاق؛ وهو أبو التفسير بكتابه "جامع البيان" ، تُوفي في شوال سنة ٣١٠هـ ، طيّب الله ثراه. طبقات المفسرين للسيوطي ٨٢/١.

أصحاب طالوت، مع قلة عددهم، وضعف شوكتهم علىٰ جالوت وجنوده، مع كثرة عددهم، وشدة بطشهم، حججي علىٰ من جحد نعمتي، وخالف أمري، وكفر برسولي من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية، التي يعلمون أنها من عندي.لم تتخرصها ولم تتقولها أنت يا محمد، لأنك أمي، ولست ممن قرأ الكتب، فيلتبس عليهم أمرك، ويدَّعوا أنك قرأت ذلك فعلمته من بعض أسفارهم، ولكنها حججي عليهم أتلوها عليك يا محمد، بالحق اليقين كما كان، لا زيادة فيه، ولا تحريف، ولا تغيير شيء منه عما كان "(١). لذلك جاء الالتفات إلىٰ ضمير المتكلم في قوله: ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾، للدلالة علىٰ أن قصص الأمم السابقة وحي من عند الله، وكذلك صدق النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، وهذا هو سر الالتفات في الآيات السابقة، مما كان له أبلغ الأثر في إبراز المعنىٰ ووضوحه. وقد أحسن الرازي حين ذكر دلالة الالتفات إلىٰ ضمير المتكلم فقال: " ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي يجب أن يُعلم أن نزول هذه الآيات عليك من قبل الله تعالىٰ، وليس بسبب إلقاء الشياطين، ولا بسبب تحريف الكهنة والسحرة "(٢). وذكر الشيخ أبو زهرة دلالة إسناد التلاوة إلىٰ الله عز وجل فقال: " وقوله تعالىٰ: ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ يفيد أمرين:

أولهما: أن القرآن كان يُتلىٰ علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – ويتلقاه بالروح الأمين، وإسناد التلاوة إلىٰ الله العلي القدير مع أن الذي كان يُلقي القرآن علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – هو جبريل – للإشارة إلىٰ أن تلاوة جبريل هي تلاوة الله فهو رسوله الأمين إلىٰ رسله المكرمين.

الأمر الثاني: أن ما في القرآن حق دائما، أي أمر ثابت لَا يقبل التغيير فليس لأحد أن يقول إن القرآن صالح لزمان دون زمان، لأنه الحق الثابت المستقر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فعلىٰ العقول أن تتفهمه وتتدبره ثم تخضع لأحكامه المستقرة الثابتة من غير محاولة للتغيير أو التبديل "(١). فمما سبق يتبين أهمية الالتفات في الآيات، ودوره في بيان إعجاز الأسلوب القرآني وبلاغته، ولفت الأنظار إلىٰ دقائق المعاني.

********

(١) تفسير الطبري، ٣٧٧/٥، ٣٧٨.

(٢) تفسير الرازي، ١/ ٩٧٦.

(١) زهرة التفاسير، ٩١٥/٢.

## المبحث الثالث: ما كان في جانب التشريعات

**وقد قسمته إلى مطالب:**

**المطلب الأول: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة**

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٦٨ ــ ١٧٠.

- **موضع الالتفات:**

في الآيات السابقة التفات من الخطاب كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ إلىٰ الغيبة كما في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾.[1]

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآيات لتوجيه النصح والإرشاد للبشرية جمعاء، وهدايتهم إلىٰ الطريق الصحيح، وهو طريق الإيمان بالله وحده، وعدم التقول عليه تعالىٰ، وعبادته حق العباده، والأكل مما أحله الله لهم، والبعد عن خطوات الشيطان، الذي يغويهم ويضلهم حتىٰ يكفروا بالله ويأكلوا مما حرمه الله.

ثم أراد الله تعالىٰ أن يلفت نظر الناس إلىٰ موقف فئة من البشرية مما نصحهم الله به وأرشدهم إليه، حيث غضوا الطرف عن هدايات القرآن واتبعوا خطوات الشيطان، ووساوسه، فكفروا بالله وبما أنزله من القرآن، وتمسكوا بعادات آبائهم وأجدادهم فعبدوا حجارة لا تنفع ولا تضر، لغياب عقولهم، وفساد قلوبهم.

وموقف هذه الفئة الضالة أظهره القرآن وبيَّنه وأكَّد عليه من خلال أسلوب الالتفات إلىٰ الغيبة كما في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ

---

[1] تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ط: مؤسسة الرسالة، ط١ : ١٤٢٠هـ ، ت: الشيخ أحمد شاكر، ج٣، ص٣٠٥، والتحرير والتنوير، ج٢، ص١٠٥.

﴿ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾، حتىٰ يلفت أنظار الناس إليهم، فيبتعدوا عن مسلكهم واعتقادهم وضلالاتهم.

وكان في هذا الالتفات تعجُّب من صنيعهم وموقفهم من الوحي الرباني، وازدراء لهم ولعبادتهم الأصنام، وهي حجارة صمَّاء لا تنفع ولا تضر، ومن غاب عقله فعبد حجارة واتخذها إلها، لا يستحق شرف الخطاب الرباني، لذلك كان العدول في الخطاب إلىٰ ضمير الغيبة لإبراز تلك الفوائد.

يقول ابن عادل(١) مبينا دلالة الالتفات في الآية: " وذلك من باب الالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبة، وحكمته: أنَّهم أُبرزوا في صورة الغائب الذي يُتعجَّب من فعله، حيث دُعي إلىٰ شريعة الله تعالىٰ والنُّور والهدىٰ، فأجاب باتِّباع شريعة أبيه"(٢).

ويقول الألوسي مبينا نكتة أخرىٰ للالتفات في الآية: " والعدول عن الخطاب إلىٰ الغيبة للتنبيه علىٰ أنهم لفرط جهلهم وحمقهم ليسوا أهلا للخطاب، بل ينبغي أن يُصرف عنهم إلىٰ من يعقله، وفيه: من النداء لكل أحد من العقلاء علىٰ ضلالتهم ما ليس إذا خوطبوا بذلك"(١).

**********

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٠.

- **موضع الالتفات:**

في الآية التفات من الخطاب كما ورد في بداية الآية: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾ إلىٰ الغيبة كما ورد في نهاية

---

(١) ابن عادل: هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، صاحب التفسير الكبير: اللباب في علوم الكتاب، توفي بعد ٨٨٠ هـ. ١٤٧٥ م.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفى: ٧٧٥هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، ج٣، ص١٥٧.

(١) روح المعاني، ج٢، ص٤٠، وينظر تفسير أبي السعود، ج١، ص١٨٨، والتفسير الوسيط للطنطاوي، ج١، ص٣٤٦.

الآية: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾.

- **أثره على المعنى**

جاءت الآية لحث وحض الحجاج إلىٰ بيت الله الحرام بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج علىٰ الإكثار من تعظيم الله تعالىٰ وذكره وتنزيهه، والدعاء والابتهال إلىٰ الله تعالىٰ، في تلك البقعة المباركة والأشهر الحرم، لعل الله يتقبل دعاءهم ويجيب دعواتهم، فيعودوا إلىٰ أوطانهم مغفورا لهم.

ثم بعدها بآيتين ورد قوله تعالىٰ أيضا بضمير المخاطب: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٣، لنفس الغرض والهدف وهو حث الحجاج علىٰ الإكثار من ذكر الله في أيام منىٰ(٢)، لذلك لمَّا اتحدت الآيتان في الغرض وهو الحض علىٰ ذكر الله جائتا بضمير المخاطب.

فأراد الله تعالىٰ أن يبين موقف الحجاج أمام هذه الدعوة الربانية، وأصنافهم في الدعاء، ونصيب كل صنف، وذلك عن طريق الالتفات من الخطاب إلىٰ الغيبة، فأتىٰ بجملة معترضة بين الخطابين، وليلفت أنظار الحجاج إلىٰ الدعاء الصحيح الذي ينبغي أن يتوجهوا به إلىٰ العلي القدير، فيمتثلوه ويكثروا منه.

لذلك يقول الألوسي: " ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ جملة معترضة بين الأمرين المتعاطفين، للحث والإكثار من ذكر الله تعالىٰ وطلب ما عنده "(١).

فذكر في تلك الجملة أنهم صنفان: صنف منهم فضَّل الدنيا وملذاتها، فاقتصر في دعائه علىٰ المطالب الدنيوية، فحرَم نفسه من ثواب الآخرة، وهذا الصنف لا يستحق شرف توجيه خطاب الله له مباشرة، فأتىٰ بضمير الغيبة.

---

(٢) أيام منى: وهي أيام التشريق الثَّلَاثَةُ الَّتِي بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ، أي بعد يوم عيد الأضحى، وهي أيام الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة . بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٩٥هـ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م. ٢٥٨/١.

(١) تفسير الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٢، ص٩٠.

لذلك يقول الألوسي: " وفي الآية التفات من الخطاب إلىٰ الغيبة حطًا لطالب الدنيا عن ساحة الحضور "(٢).

أما الصنف الثاني فقد طلبوا من الله تعالىٰ خيري الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم المؤمنون حقا، الذين لم يغفلوا ولم ينسوا نصيبهم من الدنيا والآخرة، وهذا هو التوازن الذي حض عليه القرآن(٣).

**********

**المطلب الثاني: الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب**

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ البقرة: ١٩٦.

**موضع الالتفات:**

في هذه الآية جاء الالتفات من الغيْبة في قوله: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ بضمير الغيبة، إلىٰ الخطاب في قوله: ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ بضمير الخطاب.

يقول ابن عادل: " وفي قوله: ﴿ رَجَعْتُمْ ﴾ شيئان: أحدهما التفاتٌ، والآخَرُ الحَمْلُ علىٰ المعنىٰ، أمَّا الالتفاتُ: فإنَّ قبله ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ ، فجاء بضمير الغَيْبَة عائداً علىٰ " مَنْ "، فلو سيق هذا علىٰ نَظْمِ الأوَّل لقيل: " إِذَا رَجَعَ " بضمير الغَيْبَةِ.

وأمَّا الحَمْلُ فلأنَّهُ أتىٰ بضمير جمعٍ؛ اعتباراً بمعنىٰ " منْ "، ولو رَاعىٰ اللَّفظ لأفردَ، فقال: " رَجَعَ "(١).

---

(٢) تفسير الألوسي، ج٢، ص٩٠. والبحر المحيط لأبي حيان، ط: دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٢٢هـ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ج٢، ص٦٥. وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج٣، ص٢٣٢.

(٣) انظر تفسير الرازي، وهو مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١: ١٤٢١هـ، ج٥، ص١٦٠. وتفسير أبي السعود، ج١، ص٢٠٩.

- **أثره على المعنى:**

جاءت الآية لتُبين ما علىٰ الحاج المتمتع(١) من تقديم هدي لبيت الله الحرام، فإذا لم يستطع فعليه صيام ثلاثة أيام في أيام الحج وهو بمكة، وسبعة أيام إذا رجع إلىٰ أهله ووطنه.

وبالتأمل في تلك الجملة نجد أنها بدأت بضمير الغيبة ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ ثم انتقلت إلىٰ ضمير المخاطب ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾، للدلالة علىٰ معنىٰ، وحكمة أرادها الله تعالىٰ، وهي بيان تيسير الشريعة الإسلامية علىٰ الحجاج الذين يتحملون مشاق السفر، وأداء مناسك الحج في ظل هذا الازدحام، فكان من المشقة والتعسير علىٰ الحجاج أن يصوموا عشرة أيام أثناء أداء مناسك الحج، فيسَّر الله عليهم فأوجب عليهم صيام ثلاثة أيام فقط أثناء أداء مناسك الحج، وسبعة أيام إذا رجع إلىٰ أهله ووطنه.

وللتأكيد علىٰ صيام السبعة أيام بعد الرجوع إلىٰ الأهل والأوطان، جاء الالتفات إلىٰ ضمير المخاطب ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ حتىٰ لا يظن أو يتوهم أحدهم أن صيام السبعة أيام أثناء أداء المناسك أيضا كالثلاثة، وإنما صيام السبعة أيام يكون عند الرجوع إلىٰ الأهل والأوطان.

فيقول ابن عطية: " وقوله تعالىٰ ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ قال قتادة(٢): هذه رخصة من الله تعالىٰ، والمعنىٰ: إذا رجعتم إلىٰ أوطانكم فلا يجب علىٰ أحد صوم السبعة إلا إذا وصل وطنه، إلا أن يتشدد أحد كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان"(٣).

**********

---

(١) اللباب لابن عادل، ج١، ص٦٠٩. وروح المعاني، ج٢، ص٨٣. وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المتوفى: ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، ص١، ص٣٩٩.

(١) المتمتع: هُوَ أَنْ يُهِلَّ الرَّجُلُ بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ مِنَ الْمِيقَاتِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَسْكَنُهُ خَارِجًا عَنِ الْحَرَمِ، ثُمَّ يَأْتِي حَتَّى يَصِلَ الْبَيْتَ فَيَطُوفَ لِعُمْرَتِهِ وَيَسْعَى وَيَحْلِقَ فِي تِلْكَ الْأَشْهُرِ بِعَيْنِهَا، ثُمَّ يُحِلَّ بِمَكَّةَ، ثُمَّ يُنْشِئُ الْحَجَّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ بِعَيْنِهِ وَفِي تِلْكَ الْأَشْهُرِ بِعَيْنِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى بَلَدِهِ. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، ٢٧٦/١.

(٢) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، ثقة، ثبت، قيل ولد أكمه، أي: كفيف البصر سنة إحدى وستين، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة ، وله بضع وخمسون سنة. تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر، ط : دار الفكر ، ط ١: ١٤٠٤هـ. ج٨، ص٣٥١.

(٣) تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ط: دار الكتب العلمية، ط١ : ١٤١٣هـ، ت: عبد السلام عبد الشافي، ج١، ص٢٥٦.

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧.

- **موضع الالتفات:**

في الآية السابقة التفات من الغيبة إلىٰ الخطاب، حيث بدأت الآية بالتعبير عن الحجيج بضمير الغيبة كما في قوله: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ ، ثم وجهت الحديث إليهم بضمير المخاطب كما في قوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾.

يقول أبو حيان: " وفي قوله : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ ﴾ التفات، إذ هو خروج من غيبة إلىٰ خطاب "(١).

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآية من أجل حث الحجيج علىٰ الالتزام بالأخلاق النبيلة، والخصال الحميدة، والتخلىٰ عن الأخلاق الذميمة التي تُخل بالمكانة السامية للحج، وبعظمة الزمان والمكان، وقدر بيت الله الحرام، وتُنقص من ثواب الحج.

فيقول صاحب كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن: " ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ حث علىٰ الخير بعد ذكر الشر، وعلىٰ الطاعة بعد ذكر المعصية، وهو أن يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوىٰ، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة، وفيه أن كل ما يفعلونه من ذلك فهو معلوم عند الله لا يفوت منه شيء "(٢).

ولما كانت الأخلاق الذميمة من الفحش في القول والفعل، تشمئز منها النفوس الطيبة، ويبتعد عنها أصحاب الهمم العالية، جاءت في سياق الحديث بضمير الغيبة، للدلالة علىٰ أنها منبوذة من قبل الله تعالىٰ، ومن قبل أصحاب النفوس السويَّة.

أما فعل الخيرات، والتخلق بالأخلاق النبيلة، والتزود بالتقوىٰ، فهي خصال محمودة من قبل الله تعالىٰ، لذلك حث عليها، وشجع الحجيج علىٰ التمسك بها، حتىٰ يفوزوا بخيري الدنيا والآخرة، لذلك كان الخطاب موجها إليهم مباشرة، بضمير المخاطب، فكان الالتفات إلىٰ ضمير الخطاب،

---

(١) البحر المحيط، ٢/٥٥.

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ١/٤٠٥.

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ ليُبْرز هذا المعنىٰ ويجلِّيه، مما أحدث روعة وجلالا في تفسير الآية.

وقد أحسن الألوسي حين ذكر أثر الالتفات في الآية فقال: " ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ ..وفيه التفات، وحث علىٰ الخيرعقيب النهي عن الشر ليُستبدل به، ولهذا خص متعلق العلم مع أنه تعالىٰ عالم بجميع ما يفعلونه من خير أو شر"(١).

ويقول ابن كثير: " وقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ لمَّا نهاهم عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً، حثهم علىٰ فعل الجميل وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة "(٢).

**********

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣ ــ ٢١٤.

- **موضع الالتفات:**

في هذه الآية التفات من الغيْبة في قوله: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بضمير الغيْبة، إلىٰ المخاطب في قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ بضمير المخاطب.

- **أثره على المعنى:**

سيقت الآيات من أجل بيان حقيقة الطريق المؤدية إلىٰ الجنة والنعيم المقيم، حتىٰ لا يتخيل أحد أنه طريق سهل، محفوف بالورود، ولكنه طريق يحتوي علىٰ الكثير من المشاق والمتاعب والابتلاءات، حتىٰ يصل المؤمن إلىٰ الفردوس الأعلىٰ من الجنة، فيتبين المؤمن الصادق من الكاذب، وقوي الإيمان من ضعيفه.

---

(١) روح المعاني، ٨٦/٢.

(٢) تفسير ابن كثير، وهو تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ : ١٤٢٠هـ، ت: سامي بن محمد سلامة، ٢٩٧/١.

يقول ابن عادل: " ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾، أي: المؤمنون أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بمجرد الإيمان بي، وتصديق رسولي، دون أن تعبدوا الله بكل ما تعبَّدكم به، وابتلاكم بالصبر عليه، وأن ينالكم من أذىٰ الكفار، ومن احتمال الفقر ومكابدة الضر والبؤس، ومقاساة الأهوال في مجاهدة العدوِّ"(١).

فجاءت الآيات لتثبيت قلوب المؤمنين، وتقوية إيمانهم، وحثهم علىٰ الصبر وتحمل الأذىٰ، وعدم اليأس والقنوط بسبب الأذىٰ الذي يتعرضون له من المشركين.

وذلك من أجل إبطال الوهم الذي قد يصيب البعض بأن طريق الجنة سهل ميسور، ولكنه طريق يحتاج إلىٰ جهد ومشقة وتحمل أذىٰ، فجاء إثبات هذه المعاني والحِكم عن طريق الالتفات إلىٰ الخطاب في قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾، فكان للالتفات أثر عظيم في توضيح المعنىٰ وإبرازه والتأكيد عليه.

فيقول الزمخشري: " ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف علىٰ النبيين بعد مجيء البينات، تشجيعا لرسول الله ـ صلىٰ الله عليه وسلم ـ والمؤمنين علىٰ الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب، وانكارهم لآياته وعداوتهم له، قال لهم علىٰ طريقة الالتفات التي هي أبلغ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ "(١).

**********

**المطلب الثالث: الالتفات من الغيبة إلى التكلم**

**١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ البقرة: ١٥٩ ــ ١٦٠.**

- **موضع الالتفات:**

في الآيتين السابقتين التفات من الغيبة إلىٰ التكلم، حيث عبَّر عن الذات الإلهية بلفظ الجلالة في قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾، ثم عبَّر عنها بضمير المتكلم في قوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

- **أثره على المعنى:**

---

(١) اللباب لابن عادل، ج٣، ص٥١٣.

(١) الكشاف، ج١، ص٢٨٣.

سيقت الآيتان من أجل الحديث عن عقوبة كاتمي الوحي، والشرائع، والهدايات، التي أنزلها الله علىٰ رسله، وبيَّنها للناس في كتبه، فهؤلاء أعدَّ الله لهم أشد العقوبات، وهي غضب الله ودعاؤه عليهم بالطرد من رحمته، وكذلك دعاء جميع المخلوقات عليهم بالطرد من رحمته تعالىٰ.

ولمَّا كان الغضب من قبل الله تعالىٰ يدل علىٰ مدىٰ شدة العقوبة، فإذا غضِب الله علىٰ العبد خاب وخسر في الدنيا والآخرة، كان المقام يقتضي ذكر لفظ الجلالة الذي يدل علىٰ العظمة والكبرياء.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ يفيد نهاية الغضب عليهم، حتىٰ لكأنهم تحوَّلوا إلىٰ ملعنة ينصب عليها اللعن من كل مصدر، ويتوجه إليها من كل من يستطيع اللعن ويؤديه "(١).

ومع شدة العقوبة الواقعة علىٰ كاتمي الشرائع السماوية، إلا أن من رحمة الله بعباده أنه فتح باب التوبة أمامهم، حتىٰ يثوبوا إلىٰ رشدهم، فيُظهروا الوحي ويبلغوه للناس، والعفو والمغفرة والرحمة بالمذنبين لا يملكها إلا الله تعالىٰ، لذلك جاء الالتفات إلىٰ ضمير المتكلم في قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، للدلالة علىٰ مدىٰ سعة رحمة الله وعفوه، فكان للالتفات أثر في إظهار المعنىٰ ووضوحه.

وقد ذكر الألوسي أن اختلاف الفعلين وهما اللعن والرحمة، هو السر في مجيء الالتفات فقال: " والالتفات إلىٰ التكلم للافتنان مع ما فيه من الرمز إلىٰ اختلاف مبدأ فعليه السابق واللاحق(٢) "(٣).

**********

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي، ٣٢٥/١.

(٢) والفعلان هما اللعن والرحمة.

(٣) روح المعاني، ٢/ ٢٨، وتفسير أبي السعود، ١/ ١٨٣، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٧١/٣.

# الخاتمة

من خلال معايشتي لهذا البحث، ودراستي لمواضع الالتفات في سورة البقرة، وأثر الالتفات علىٰ المعنىٰ، توصلت إلىٰ نتائج، أهمها ما يلي:

١ـ يُعد الالتفات من أسرار إعجاز القرآن الكريم، التي تتعلق بنظمه وأسلوبه وتراكيبه وألفاظه.

٢ـ للالتفات أغراض وأهداف، تختلف من موضع لآخر، يحددها السياق، مما يكون له عظيم الأثر في تجلية المعنىٰ وتوضيحه.

٣ـ للسياق القرآني دور كبير في بيان الغرض من الالتفات في كل موضع من مواضعه.

٤ـ استخراج أغراض الالتفات في كل موضع، يحتاج إلىٰ تدبر وتأمل وإعمال عقل، وذهن صاف، وقريحه متقدة.

٥ـ كثرة مواضع الالتفات وشيوعها في آيات وسور القرآن، ومن بينها سورة البقرة، وقد درست خمسة عشر آية في السورة.

٦ـ يُعد الالتفات بمثابة تنشيط ذهن القارئ، بتغيير الأسلوب والانتقال من وضع لآخر، وكذلك ينبه القارئ علىٰ الأغراض والأهداف التي سيقت الآيات من أجلها.

٧ـ الالتفات من الخطاب إلىٰ التكلم ينعدم وجوده في القرآن الكريم.

**وأما أهم الاقتراحات التي أؤكد عليها، بعد دراستي لهذا الموضوع:**

١ـ تعميم هذه الدراسة علىٰ جميع سور القرآن الكريم، وتتبع مواضع الالتفات بها، وإبراز أثرها علىٰ المعنىٰ التفسيري، مما يكون له عظيم الأثر في إبراز إعجاز وجمال معاني القرآن الكريم، والتي إذا تذوقها القارئ كان لها تأثير كبير في نفسه وقلبه وعقله، فيزداد إيمانا وإقبالا علىٰ الله.

٢ـ الاهتمام بالجانب التطبيقي للالتفات علىٰ آيات وسور القرآن الكريم، أثناء تدريسه علىٰ الكليات الشرعية، مما يثقل الطالب، ويجعل لديه تذوقا لأسرار إعجاز القرآن وبلاغته، بدلا من إعطاء الحظ الأوفر للجانب النظري.

# قائمة المراجع

القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المتوفى: ٩١١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م-١٤١٨هـ.
٣. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، المتوفى: ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٤. الالتفات في البلاغة العربية للدكتور/ طاهر عبد الرحمن قحطان، اليمن، مجلة الدراسات الاجتماعية.
٥. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ٧٣٩ هـ، دراسة وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
٦. البحر المحيط لأبي حيان، ط: دار الكتب العلمية ، ط ١ : ١٤٢٢هـ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض.
٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٩٥هـ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٨. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية.
١٠. التحرير والتنوير للطاهر لابن عاشور، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
١١. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ط: دار الكتب العلمية، ط١ : ١٤١٣هـ ، ت: عبد السلام عبد الشافي.
١٢. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣. تفسير الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٤. تفسير الرازي: مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ : ١٤٢١هـ.
١٥. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبـو جعفر الطبري، ط: مؤسسة الرسالة، ط١ : ١٤٢٠هـ ، ت: الشيخ أحمد شاكر.
١٦. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط : دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ : ١٤٢٠هـ ، ت : سامي بن محمد سلامة .
١٧. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، المتوفىٰ: بعد ١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
١٨. تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠م .
١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.
٢٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ.
٢١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٢. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، المؤلف: محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ.
٢٣. تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر، ط : دار الفكـر ، ط ١: ١٤٠٤هـ.
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفىٰ: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢٥. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: محمد محمد أبو موسىٰ، مكتبة وهبة.
٢٦. زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، المتوفىٰ: ١٣٩٤هـ، دار النشر: دار الفكر العربي.
٢٧. طبقات المفسرين للحافظ السيوطي، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١، ١٣٩٦هـ.
٢٨. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، المتوفىٰ: ١١هـ، ت: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٢٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفىٰ: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٠. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، المتوفىٰ: ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت.
٣١. فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفىٰ: ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٤ ه.
٣٢. الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، لجار الله الزمخشري ، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ت : عبد الرزاق المهدي.
٣٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المتوفىٰ: ٧٤١هـ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ – ١٤١٥ هـ.
٣٤. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفىٰ: ٧٧٥هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م

٣٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد.
٣٦. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين، المؤلف : أعضاء ملتقىٰ أهل الحديث.
٣٧. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، ت: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ط: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
٣٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبدالعظيم الزرقاني، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٦م.
٣٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفىٰ: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | المقدمة | ٦١١ |
| ٢ | الفصل الأول: حقيقة الالتفات، وصوره، وأغراضه. | ٦١٣ |
| ٣ | الفصل الثاني: أثر الالتفات علىٰ المعنىٰ من خلال سورة البقرة | ٦٢٢ |
| | المبحث الأول: ما كان في جانب العقيدة | ٦٢٢ |
| | المبحث الثاني: ما كان في جانب الرسول صلىٰ الله عليه وسلم | ٦٣٨ |
| | المبحث الثالث: ما كان في جانب التشريعات | ٦٤٨ |
| ٧ | الخاتمة | ٦٥٧ |
| ٨ | قائمة المراجع | ٦٥٨ |
| ٩ | فهرس الموضوعات | ٦٦٢ |